سَعيد بن عَمْرو الحَرَشِيّ(*)

فاتح شطر إرْمِيْنِيَة ثانية وشطر خراسان

اللواء الركن محمود شيت خطاب

والظاهر أنّ الحَرَشِيّ تألّف بعض سادات العرب وقادة خُراسان بالمال ، ليكونوا له عَوْناً في حربه وسلمه ، وليقطع دابر الشّغب على الدولة ، فعلم بذلك ابن هُبَيْرة ، وأرسل رجلين من رجاله إلى الحَرَشِيّ يأمره أن يدفع أولئك المنتفعين بالمال الحكوميّ إليها ليستعيدا منهم ما في ذمّتهم من الأموال إلى بيت المال ، فأبى الحَرَشِيّ أن يفعل . ولما قَدِم خليفةُ الحَرَشِيّ الذي ولاه ابن هُبيرة خُراسان بعد عزل الحَرَشِيّ عن خُراسان ، أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي فُرّقت عليهم ، فقيل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخُراسان قرار ، وإن لم تعمل على وضع تلك الأموال عنهم فسدت عليك وعليهم خُراسان ، لأنّ هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد . وكتب والي خُراسان الذي خلف الحَرَشِيّ عليها وهو مُسْلِم بن سعيد بن أَسْلَم بن زُرْعَة الكِلابي بذلك إلى ابن هُبَيْرة ، وأوفد وفداً فيهم مِهْزَم بن جابر ـ أحد رجالات العرب في خُراسان ، فقال له : « أيّها الأمير ! إنّ الذي رُفع إليك الظلمُ والباطلُ ، ما علينا من هذا كلّه لو صدق إلاّ القليل الذي لو أُخذنا به أدّيناه » ، فقال ابن هُبَيْرَة : (إنَّ الله يَأمُرُكُمْ أنْ تؤدّوا الأماناتِ إلى أهلِها)[1] ، فقال مِهْزَم : « اقرأ ما بعدها : (وإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعَدْل)[2] » ، فقال ابن هُبَيْرَة : « لابدَّ من هذا المال » ، فقال مِهْزَم : « أما والله لئن أخذتَه لتأخذنّه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوّك ، وليضرنّ ذلك بأهل خُراسان في عُدّتهم وكُراعهم وحَلْقَتهم ،

---

* نشرت المجلة القسم الأول من هذا المقال في عددها الأول من المجلد السادس والخمسين .

(١) سورة النساء (٥٨) .

(٢) سورة النساء (٥٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونحن في ثغر نكابد فيه عدوّاً لا ينقضي حربهم . إنّ أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدؤه إلى جلده ، حتى إنّ الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذي تخدمه لريح الحديد ، وأنتم في بلادكم متفضّلون في الرّقاق وفي المُعصْفَرة ، والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خُراسان وأهل الولاياتِ والكلف العظام في المغازي ، وقبَلنا قوم قَدِموا علينا من كلّ فجّ عميق ، فجاءوا على الحُمُرات ، فَوُلّوا الولايات ، فاقتطعوا الأموال ، فهي عندهم موقّرة جمّة »[٣]

ولا أرى دفاعاً عن الحَرَشِيّ أبلغ من هذا الدفاع الذي ذكره أحد رجاله لخلفه : وزّعت الأموال على المقاتلين الأشداء ، الذين لهم نفوذ على قومهم ، ليستعينوا بها في حرب مديدة ، لا تنقضي صفحة منها ، إلا لتبدأ صفحة جديدة .

ونعود إلى حكاية (المبتدع) و (المتّبع) ، فقد كان الحَرَشِيّ مبتدعاً في توزيع المال على المحاربين الأشداء من ذوى القوّة والمَنَعة والعشيرة ، دون أن يرجع إلى ابن هُبَيْرة ليعطي منْ يريد ما يريد ، بل اجتهد الحَرَشِيّ فأعطى المستحق للعطاء ، وهو الحاضر وابن هُبَيْرة الغائب ، وهو يرى وأميره يسمع ، فعمل الذي يقتضيه الحق وترتضيه المصلحة .

وربما أبقى الحَرَشِيّ شيئاً لنفسه من هذا المال ، تحسّباً للأيّام السّود ، فلم يذكر المؤرخون أنه ترك بعد رحيله عن الدنيا داراً أودينارا ، فما خان الحَرَشِيّ في المال ، ولكنه فرّقه في المستحقّين .

وقد غضب ابن هُبَيْرة على الحَرَشِيّ ، وأمره بأن يجمعه ممن أخذه ، فأبى الحَرَشِيّ ، فحاول أن يجمعه خلفَه دون جدوى ، لا لأنّ الحَرَشِيّ قد فرّقهُ على غير المستحقّين بل لأن المال لم يُفرّق باسمه على الموالين له كأنه هديّة شخصيّة من مال ابن هُبَيْرة الخاص ، ففوّت عليه الحَرَشِيّ هذه الفرصة لحشد الأتباع والموالين بمال الدولة لا بماله ، لذلك غضب وأراد استرجاع المال نكاية بالحَرَشِيّ ، فما استطاع استرجاعه وباءت محاولته بالاخفاق .

(٣) . الطبري (٧ / ٢٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونعود الى الحَرَشيّ إنساناً ، فقد جاء في بعض المصادر التاريخية ، أن الحَرَشيّ قتل المُقَنّع بخُرسان سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة (٧٧٩ م) على عهد الخليفة المهدي العباسي[٤] ، وأنّ الخليفة المهدي وجّه الحَرَشيّ سنة ثمان وستين ومئة الهجريّة (٧٨٤ م) في أربعين ألف رجل إلى (طَبَرِسْتان)[٥] ، وأن الحَرَشيّ قدم على الخليفة هرون الرشيد بأربعمائة بطل من أبطال (طبرستان) فأسلموا على يدي الرشيد سنة تسع وثمانين ومئة الهجريّة[٦] (٨٠٤ م) . ومن الواضح أن الحَرَشيّ الذي عمل في عهد بنى أمية وهو الذي تقرأ سيرته هذه ، غير الحَرَشيّ الذي عمل في عهد بنى العبّاس التي تحدثت عنه تلك المصادر في حرب المُقَنّع وفي ولاية طبرستان ، فالفرق الزّمنيّ بين الاثنين كبير جداً ، فالأول تولى (خُرسان) سنة ثلاث ومئة الهجريّة ، فليس من المعقول أن يتولّى جيشاً ويقاتل المقنّع سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة ، أي بعد ستين سنة ، ويتولى (طبرستان) سنة تسع وثمانين سنة من ولايته (خُراسان) ، أي بعد ست وثمانين سنة ! .

وقد ذكرت بعض المصادر أن الذي قتل المُقَنّع سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة هو سعيد الجَرَشيّ[٧] لا الحَرَشيّ ، وهو سعيد الحَرَسيّ[٨] لا الحَرَشيّ ، وهو سعيد الحَريشيّ[٩] لا الحَرَشيّ ، وأن الذي سار في أربعين ألفاً إلى (طبرستان) هو الجَرَشيّ[١٠] لا الحَرَشيّ .

كما ورد أنّ الذي قتل المُقَنّع سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة هو سعيد الحريثيّ[١١] .

---

(٤) . انظر الطبري (٨ / ١٢٥) و (٨ / ١٤٤) وابن الأثير (٦ / ٥١ ـ ٥٢) وذكرهما ابن الأثير في حوادث إحدى وستين ومئة الهجرية ، انظر تاريخ ابن خياط (٢ / ٢٦٩) .

(٥) . الطبري (٨ / ١٦٧) .

(٦) . الطبري (٨ / ٣١٦) .

(٧) . العبر (١ / ٢٤٠) .

(٨) . النجوم الزاهرة (٢ / ٣٨) و (٢ / ٤٥) .

(٩) . ابن خلدون (٣ / ٤٣٩) و (٣ / ٤٤٠) .

(١٠) . العبر (١ / ٢٥٢) .

(١١) . البداية والنهاية (١٠ / ١٤٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والفرق كبير جداً بين سعيد الحَرَشيّ وما جاء في المصادر الأخرى[١٢] .

وقد شبّ للحَرَشيّ وترعرع وأصبح أحد ولاة بني العبّاس على الموصل ابن للحَرَشيّ هو يحيى الحَرَشيّ الذي تولىّ (الموصل) لهرون الرشيد سنة ثمانين ومئة الهجريّة[١٣] (٧٩٦ م) ، وكان ليحيى هذا قصر في لَجَف[١٤] سور (نينوى) التي تقع على الجانب الأيسر من نهر (دجلة) مقابل مدينة (الموصل) يفصل بينهما النهر ، يعرف بقصر الحَرَشيّ . وسكن أولاده (الموصل) ويعملون حاكة[١٥] لصنع القماش الموصلىّ .

وكان الحَرَشي يكنى : أبا يحيى[١٦] ، وأمّه حبشيّة ، وولده بإرمينية كما ذكرنا وفي (الموصل) أيضاً .

ولا نعلم متى ولد ولا متى رحل ، وتفاصيل حياته إنساناً قليلة ، وذكرُ أخباره الشخصية نادر بعكس أخباره العامة ، فهي مستفيضة ، ويبدو من حياته العامّة أنه كان إدارياً حازماً ووالياً قديرا ، عصاميّ سوّد نفسه بكفايته وشجاعته وحزمه ، ولكنه كان عاثر الحظ في حياته الشخصية ، إذ كان يُحسن في أداء واجبه إحساناً فريداً ، ولكنه كان يجازى على إحسانه بالسجن والتعذيب ، لأنه يَعْمل ما (يجب) أن يُعْمَل ، لا ما (يحبّ) أمراؤه أن يَعْمل .

وكان المتوقّع أن يقف المؤرخون طويلاً على إبراز سجيّته في (الابتداع) وتنكّره لسجيّة أمثاله في (الاتّباع) ، ولكنهم نجلوا عليه كثيراً ، فمثله في سجيته الابتداعيّة قليل نادر ، ولكنّ القطار السّريع كثيراً ما يتوقّف في المحطّات الصغيرة ولا يتوقّف في المحطّات الكبيرة .

---

(١٢) . الجرشي : نسبة الى جرش بطن من حمير ، وقيل موضع باليمن ، انظر لب الألباب (٦٢) . والحرسي : نسبة الى الحرس ، محلة بمصر وبطن من طيّئ ، انظر لب الألباب (٧٨) . والحرشي : نسبة الى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، انظر اللباب (٧٨) . والحريثي : نسبة الى حريث جد ، انظر اللباب (٧٨) .

(١٣) . ابن الأثير (٦ / ١٥٣) وتاريخ الموصل (٢٨٦) .

(١٤) . لجف : سرة الوادي ، انظر تاج العروس (٦ / ٣٤٢) .

(١٥) . تاريخ الموصل (٢٩٣) .

(١٦) . الطبري (٧ / ١٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحظوظ الأفذاذ مختلفة بالنسبة للمؤرخين ، فمنهم مَن أخذ حقّه كاملاً ، ومنهم مَن غُمط حقّه ، ومنهم مَن أخذ أكثر من حقّه ، ومن الذين غمطهم التاريخ سعيد الحَرَشيّ .

القائد

اتّخذ سعيد الحَرَشيّ الجنديّة مهنة له ، فرفعته هذه المهنةُ بالتدريج ، حتى تسنّم المناصب القيادية الرفيعة ، وأصبح أحد قادة الأُمويين اللامعين ، يستعين به الخلفاء في المُلمّات .

تولّى خُراسان بعد أن اشتعلت ناراً ، بإيعاز من الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فاستعاد فتح ما نقض منها وأعاد إليها الأمن والسّلام ، خلال أشهر معدودات .

وتولّى حرب إرمينية بعد أن استُشهد قائدها العام وأُبيد جيش المسلمين فيها قتلاً وأسراً ، وتولاها بأمر من الخليفة هُشام بن عبد الملك ، فاستعاد فتحها وأعاد إليها الأمن والسّلام خلال أشهر معدودات .

لقد أصبح الحَرَشيّ رجل السّاعة من بين القادة البارزين في الدولة ، وهذا منتهى النجاح الذي يمكن أن يطمح إليه جنديّ ارتقى إلى منصب القيادة ، ثم ارتقى بين القادة إلى مكان الصّدارة ، فأصبح الملجأ الذي تتّجه إليه الأنظار حين تَدْلَهِمّ الخُطوب .

ومن الواضح أنه شهد معارك لتوطيد الأمن في الداخل ولاستعادة الفتح في الخارج قبل معركة (العَقْر) التي تولىّ فيها القيادة . إذ أثبت وجوده في المعارك الأولى جنديّاً متميّزاً أهلته كفايته لتولي القيادة في معركة (العَقْر) ، ولكنه في هذه المعركة أثبت وجوده قائداً متميّزاً بالاضافة إلى اثبات وجوده جندياً متميّزاً في معاركه الأولى .

وكان موقفه في معركة (العَقْر) مشهوداً ، ولكنّ هذا الموقف غُمط بعد المعركة غَمْطاً متعمّداً حتى يُحرم من ثمرات النصر ، إلاّ أنّ يزيد بن عبد الملك الذي تسامع بموقف الحَرَشيّ المشرّف في معركة (العَقْر) من مصادر غير رسمية ، أنصف الحَرَشيّ وأعطاه حقّه الذي تعمّدت المصادرُ الرسميّة غمطه ، فشارك غيره في ثمرات النصر ، ولم يقتصر على تحمل ويلات المعركة ليستأثر غيره بالثمرات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد كانت ثورة يزيد بن المَهلَّب على يزيد بن عبد الملك ثورة عارمة حقاً ، فالمهالبة من سادات العرب وقادتهم ، وكانت لهم مكانة رفيعة بين الناس وشعبيّة طاغية ، وقد خلع يزيدُ بن المهلّب يزيد بن عبد الملك[١٧] ، فكانت معركة (العَقْر) بالنسبة ليزيد بن عبد الملك معركة حياة أو موت ، لأنها من المعارك الداخليّة الحاسمة ، لذلك كتب ابن هُبَيْرة أمير العراق إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء الذين أبلوا يوم (العقْر) بلاءً حسنا ، ولم يذكر الحَرَشيّ في قائمة الشرف ، فلما قرأ يزيد بن عبد الملك أسماءهم ، قال : « أين الحَرَشيّ ! ! فوالله ما كان الفتح إلاّ على يديه ، وما قتل المتمردين غيره » ، فكتب إلى ابن هُبَيْرة يأمره أن يولي الحَرَشيّ خُراسان[١٨] .

وتولّى الحَرَشيّ خُراسان ، فكان عند حسن ظن الخليفة به وعند حسن ظنّ الناس به أيضاً .

وتولى هُشام بن عبد الملك بعد وفاة أخيه يزيد بن عبد الملك ، وأُصيب المسلمون في إرمينية واستُشهد قائدهم الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ ، وأصبح مَن بقي فيها من المسلمين أسرى وسبايا إلاّ الذي بقي منهم خائفاً يترقّب في بلد محاصَر لا يعرف أهله متى يقتحمه العدو أو في بلد لا يدري أهله متى يُفرض عليهم الحصار .

حينذاك بادر هُشام إلى استدعاء الحَرَشيّ ، فبسط بين يديه موقف المسلمين اليائس في إرمينية ، فاقترح الحَرَشيّ عليه أن يتولىّ أمر إعادة الأمور إلى نصابها في ذلك البلد النائي البعيد ، وسأله أن يحمله على دواب البريد التي كانت أسرع واسطة للتنقّل يومذاك ، فبعثه هشام على رأس قوّات خفيفة سريعة ، وسار على عجل يبسط للمسلمين في طريق رحلته الشاقّة الطويلة ما حاق بالمسلمين في إرمينية ويندبهم للجهاد .

ولم يكد يصل إلى إرمينية إلاّ وانقضّ كالصقر على الخَزَر ، واستعاد فتح البلاد ورفع الحصار عن المدن المحاصَرة واستنقذ الأسرى والسبايا ، فصدق وعده للخليفه واعاد الأمن والسّلام إلى إرمينية .

---

(١٧) . الطبري (٦ / ٥٧٨) .

(١٨) . تهذيب ابن عساكر (٧ / ١٦٤ ـ ١٦٥) وانظر الطبري (٦ / ٦٢٠) . وابن الأثير (٥ / ١٠٣) ، وفي الأصل ، قتل المرتدين ، ولم يكن هناك مرتد بل كان هناك متمردون ، ولعل هذا الخطأ تصحيف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فما هي مزايا قيادة الحَرَشيّ ، الذي أخذت بيديه في طريق التقدم من جندي مغمور إلى قائد لامع ، إلى قائد يحتلّ مركز القيادة المرموقة في ساعة المحنة ، فيتخطّى الأهوال والصعاب بسرعة وكفاية ؟ ؟ .

لقد اتّخذ الحَرَشيّ الجندية مهنة له ، وكانت هذه المهنة محبّبة إلى نفسه ، فهو من هواتها ، عاش لها وبها ، مما يدلّ على أنّ طبعه الموهوب جعله يهب نفسه للجنديّة ويتفرّغ لها في حياته تفرغاً كاملا .

وربما يتبادر إلى الأذهان أنه امتهن الجنديّة لفقره وعَوَزه ، وقد كان فقيراً مُعْدماً حقاً في أيامه الأولى ، ولكنّ المرتزق في الجنديّة لا يبرز فيها بروزاً هائلا . كما أنه أصبح والياً ولكنه بقي والياً غازيا ، فعاش مع الجُنْد في الفيافي والقفار ولم يعش مع المدنيين في المدن والقصور .

إنه صاحب طبع موهوب في الجنديّة ، فهو جندي من أُخْمَص قدمه إلى قمّة رأسه ، امتهن الجندية ولم يمتهنها[١٩] .

وقد طعّم هذا الطبع الموهوب وشذّبه بالعلم العسكري المكتسب في استعمال السّلاح والفروسيّة ، وبالتجربة العملية في ممارسة الحروب داخليّاً في القضاء على الفتن والثورات الداخلية ، وخارجياً في استعادة البلاد المفتوحة وفي ضمّ فتح جديد ، وبذلك اجتمع له عناصر النجاح للقائد ومزايا للقائد المتميز : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية .

واجتماع هذه المزايا الثلاث في الحَرَشيّ هي سرّ نجاحه قائداً ، وتميّزه بالنجاح قائداً متميّزا .

وقد كان يتمتّع بشجاعة نادرة وإقدام فذ ، والشجاعة والأقدام وحدهما قد يؤديان إلى التهلكة نتيجة للمغامرة غير المدروسة ، وقد كان الحَرَشيّ يتميّز بروح المغامرة حقاً ، ولكنها مغامرة يقودها عقل متزن وذكاء لامع ، لذلك كانت مغامراته تؤدي إلى النصر دائماً ، فلمّ تُهزم له راية أبدا . . .

---

(١٩) . امتهن الجندية : اتّخذها مهنة له . ولم يمتهنها : لم يبتذلها . وامتهن : اتّخذ مهنة ، وامتهن الشيء : ابتذله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وحُبّ الحَرَشيّ للمغامرة العاقلة ، أدّت به إلى تطبيق : (حرب الصّاعقة) التي تتميّز بالسّرعة والجرأة والمغامرة والاندفاع ، فقد كانت حربه في إرمينية نوعاً مثالياً من حرب الصّاعقة التي تميّز فيها ثلاثة من قادة الفتح الأولين : خالد بن الوليد والمُثَنّى بن حارثة الشّيْبانيّ والحَرَشيّ .

ونهوضه بالحرب الصّاعقة أو الحرب الخاطفة ، دليل على حبّه لتحمّل المسئوليّة ، فهو يتقبّلها ولا يلقيها على عاتق غيره ، ويتحمّل وحده نتائجها . وهو كذلك يعمل ما يُملي عليه الموقف الراهن ويقرّر وينفّذ ما يقرّره ، غير منتظر وصول الأوامر إليه من القادة الذين يعمل بأمرتهم ، فقد تضيع عليه الفرصة السّانحة إذا بقي مُسْتَكِنّاً مُجَمّداً إذا انتظر أوامر غيره ، فهو قائد (مُبْتَدِع) وليس قَائداً (مُتّبِعا) .

والدليل على أنه كان مغامراً عاقلاً لا أهْوَجَ ، هو استشارته وتقبّله للمشورة ، وتنفيذ رأي المُشير إذا اقتنع به ، وحينذاك تصبح روح المغامرة والاندفاع فيه أناة وتحفّظا[٣٠] ، ولكنها أناة المتربّص وتحفّظ المتخفّز .

وكان الحرشيّ يقود رجاله من الأمام ، فيقول لهم : « اتبعوني » ، وهو يقاتل أمامهم ، ولا يقود رجاله من الخلف ، فيقول لهم : « تقدموا » ، وهو يقبع في الخلف لحماية نفسه في مكان أمين .

وكان مثالاً شخصياً لرجاله في الشجاعة والاقدام والاستقتال في الحرب ، وهو القائل :

ولست لعامرٍ إنْ لم تَرَوني ... أمام الخيل أطْعَنُ بالعوالي
فأضْربُ هامَة الجبّار منهم ... بعضب الحَدّ حودث بالصّقال
فما أنا في الحروب بمُسْتَكِيْنٍ ... ولا أخشى مُصَاولةَ الرّجال

وقد قال ذلك في حشد من رجاله بعد تولي خُراسان ووصوله الى مقرّ عمله[٣١] .

---

(٣٠) . انظر الطبري (٧ / ٨) وابن الأثير (٥ / ١٠٧) .

(٣١) . الطبري (٦ / ٦٢١) وابن الأثير (٥ / ١٠٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والقائد الذي يجعل من نفسه مثالاً شخصياً لرجاله ، ويطبّق أفعاله على أقواله ، ويلتزم بما يقول التزاماً صارماً ، هو الذي يقود رجاله إلى النصر ، أما القائد الذي يقول ولا يفعل ، فلا يقود رجاله إلاّ إلى الهزيمة .

كان لاينامُ ولايُنيم ، ولا يُريح ولا يستريح ، يحرّض أصحابه على القتال ، يتميّز بمنطق أخّاذ وبيان مُشرق وقابليّة نادرة على الخطابة في مواجهة الجماهير[٢٢] ، مِسْعَر حرب[٢٣] يجد راحته في القتال لا في الظّلال .

وبقدر استئثار الحَرَشيّ بالخطر ، كان إيثاره بالأمن والسّلامة رجالَه ، فقد كان يحرص على أرواح المسلمين ولا يغرّر بهم ، وكان حرصه الشديد بالمسلمين مضرب الأمثال[٢٤] .

وكان الحَرَشيّ يتحلىّ بالضبط المتين ، ولا يتخلىّ عنه ويلتزم به التزاماً صارماً ، ويطالب رجاله بالالتزام به التزاماً صارماً ، مما أشاع النظام في رجاله وجعلهم ينفّذون أوامره نصاً وروحاً .

والقائد الذي لايتحلّى بالضبط لا يستطيع أن يفرضه على غيره ويشيعه في رجاله ، والجيش الذي لايتحلّى بالضبط المتين لا ينفّذ الأوامر الصّادرة إليه بحرص وأمانة ، وتنهار معنوياته بسرعة خاطفة ، فيولى الأدبار .

وكان الحَرَشيّ يطبّق مبدأ المباغتة ، وهي أهم مبادئ الحرب على الإطلاق ، وقد طبّق هذا المبدأ بالمكان ، فهاجم العدو في مكان لا يتوقّعه ، وبالزمان فهاجم العدو بوقت لا يتوقعه وبسرعة لا يتوقّعها .

وكان يطبّق مبدأ المعنويات ، فوجوده في القيادة يرفع معنويات رجاله من جهة ، فهو فارس قَيْس بشهادة عدوّه اللّدود ابن هُبَيْرَة الذي يكرهه[٢٥] ، وهو فارس العرب

---

(٢٢) . الطبري (٦ / ٦٢١ ـ ٢ ، ٦) وابن الأثير (٥ / ١٠٣ ـ ١٠٤) .

(٢٣) . مسعر حرب : موقد حرب .

(٢٤) . ابن الأثير (٥ / ١٠٧) .

(٢٥) . الطبري (٧ / ١٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بشهادة (كارزنج) أحد قادة الصُّغد البارزين[٢٦] ، ويؤثر في معنويات أعدائه من جهة أخرى .

كما أنه بانتصاراته المتوالية ورايته التي لم تهزم أبداً ، يرفع معنويات رجاله ويؤدي بمعنويات أعدائه إلى الإنهيار .

ولا ينتصر جيش إلاّ إذا كانت معنوياته عالية ، فالمعنويات لاتقلّ أهمية عن الماديّات في إحراز النّصر .

وكانت انتصارات الحَرَشِيّ حافزاً للشعراء في مديحه ، فقال الشّاعر في وصف انتصاره على الخَزَر في إرمينية :

أنت الـذي أدرك اللهُ العِبَـادَ بـه ... بَعْـدَ البلاء بتـأييـدٍ وإظفـار
موفّـقٌ للهُـدى والرُّشـدِ مُضْطَلِـعٌ ... كيْـدُ الحروب أريْبٌ زَنْـدُه واري
تَضَمَّنَ الحَـزْمَ والإيمـان منْبَرُهُ ... كالصّبـح أقبـل في غرٍ وإسفـار
لأَمْتَ ما شِئتَ من شِعْبٍ ومن شُعَبٍ ... للمسلمين بجَـدٍ غير عَثّـار
على أوانٍ شـديـد ليس يعلمـه ... من شأننا كان غير الخالـقِ البـاري .
قد أبْدَتِ الحربُ فيها عن نواجِذِها ... وشَمَّرَتْ عن شَـذاهـا أيَّ تشمار
وأنتَ يـوم أبي جَرْوان[٢٧] إذْ رَجَعَتْ ... فيـه الطَّراخين ذو نقضٍ وإمْرارِ[٢٨]
لقيتَهم بِلِيـوثٍ في اللِّقـاء وقـد ... وافـوا بـأرْعن بـادي الـزَّمِّ[٢٩] جرّار
فَجُسْتَهم جَـوْسَ قَرْمٍ[٣٠] مـا يُقيْلُهمُ ... بـالخيـل تنْقضّ أوتـاراً بـأوتـار
والخيـل ساهِمَةٌ نَضْحُ الـدِّمـاء بهـا ... من علِّهـا بَعْـدَ إنهـال وإصـدار[٣١]
من كلِّ طِرْفٍ شَـديـدِ الشَّغْبِ مُنْصَلِتٍ ... نَهْـدٍ أشَـقَّ كَصَـدْرِ الرُّمـحِ خَطَّـارِ
فَهُمْ يُـوَلّـونَ والفُرْسـانُ تَضْرِبُهُمْ ... بكلِّ عَضْبٍ شَـديْـدِ المَتْنِ بتَّـارِ

(٢٦) . الطبري (٦ / ٦٢٢)

(٢٧) . في الأصل : حزوان ، والصحيح : جروان وهي : باجروان ، مدينة بإرمينية .

(٢٨) . إمرار : تنغيص ، وأمرّ الشيء : صيّره مُرّاً .

(٢٩) . الزَّمّ : الشموخ والتكبّر .

(٣٠) . القرم : السيّد المعظّم .

(٣١) . العلّ : شرب ثانية . النهل : الشرب الأول . إصدار : شبع .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أمـــامَ ليْثٍ هـزَبْرٍ فَرْهَـــدٍ[٣٢] أَزِرٍ[٣٣] ... صُلْبِ الدَّواسِ[٣٤] هَصُورٍ هَيْضَمٍ ضَارِي[٣٥]

عَبْـلِ الـذِّراعِ أبي الشِّبْلين ذي لِبَـدٍ ... دِلمْسِ هـو عَـدَّاءٌ على السَّـارِي[٣٦]

ويـومُ أسرابٍ[٣٧] إذ جـاشَتْ جموعُهمُ ... وأسْعَروا نـــار حربٍ أيّ إسعَـــار

وأقبلـــــوا كالتاع البرق يَيْصُمُهُمْ ... لهم عِصَـــار تراه بعـــد إعصـــار[٣٨]

فَسِرتَ بـالخيل والرَّايـاتُ تَقْدُمهـا ... بخَيْرَة من عبـــادِ اللهِ أخْيـــار

أمـــدَّكَ اللهُ ربُّ العـــالمينَ بهمْ ... مُسَـوَّمين أمـــام النّـــاس أنصـــار

فـأَهْلَـكَ اللهُ جَمْعَ الشِّرْكِ إذ رَجعوا ... على يَـدَيـــك وأَخْـزَى كلَّ كَفَّـــار

ولا نعرف شيئاً عن قائل هذا الشّعر ، ويبدو أنه من فرسان الأعراب الذين يتقنون الألفاظ الجاسية الحوشيّة ومفردات الخيل والسّلاح والأُسد والأبطال ، فهو فارس معجب بفارس ، وليس شاعراً متكسّباً .

لقد كان الحَرَشيّ سريع القرار صائبه ، ذا طبع موهوب وعلم مكتسب وتجربة عمليّة ، يتحلّى بالشجاعة والإقدام ويتميّز بالفروسية التي تفوّق بها على الأقران ، ويتمتع بروح المغامرة والذكاء الألمعيّ ، ويطبّق حرب الصّاعقة في حروبه ، مبتدعاً لامتّبعاً ، يقود رجاله من الأمام ويجعل من نفسه مثالاً شخصياً لرجاله ، ذا ضبط متين ، حريصاً على أرواح المسلمين ، يطبّق مبدأ المباغتة ومبدأ المعنويات .

إنه فارس العرب ، يثق بنفسه وبرجاله وقيادته ويثقون به ، ويحبونه ويحبهم ، ويخلص لهم ويخلصون له ، ذو شخصية قويّة نافذة ، كوّن نفسه بكفايته ومزاياه لا بنسبه وحسبه ، وتولّى المناصب القياديّة والإداريّة بجهده وسعيه وعَرَقه ، فسعت إليه

---

(٣٢) . فرهد : في الأصل : فرهم . والفرهد : ولد الأسد . والفرهد من الغلمان : الحسن الممتلئ .

(٣٣) . الأزر : القوّة .

(٣٤) . الصلب : الشديد القوى . والدّواس : وصف للمبالغة . الشجاع الذي يدوس أقرانه .

(٣٥) . الهصور : الأسد . الهيضم : الغليظ الشّديد الصُّلب . والضاري : المفترس .

(٣٦) . العبل : الضخم من كلّ شيء ، ويقال : عبل الذراعين . والشّبل : ولد الأسد . لبد : جمع لبدة : الشعر المتراكب بين كتفي الأسد . الدلمس : الداهية . العدّاء . الشديد العدو من الناس والخيل .

(٣٧) . أسراب : جمع سَرْبة : الجماعة ينسلون من المعسكر فيغيرون ويرجعون .

(٣٨) . العصار : الغبار الشديد . الإعصار : ريح تهبّ بشدة وتثير الغبار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك المناصب ولم يتولّها بالوراثة أو بالتزلّف أو بالوسائل الأخرى .

إنّ الحَرَشِيّ قائد قد لايتكرّر إلاّ نادرا .

الحَرَشِيّ في التاريخ

يذكر التاريخ للحَرَشِيّ ، أنّه قائد عصاميّ ، بدأ حياته العمليّة جنديّاً ثم تدرّج في سلّم العسكرية حتى أصبح قائداً في الذِّرْوة .

ويذكر له أنّه بذل قصارى جهده في القضاء على الثورات والفتن الداخلية دفاعاً عن سلامة الدولة وكيانها .

ويذكر له أنّه استعاد فتح بلاد الصُّغْد (تركستان الغربية) من خُراسان وأعاد إليها الأمن والسّلام بخاصة وإلى خُراسان بعامة ونشر العربيّة لغةً والإسلامَ ديناً في ربوع خُراسان .

ويذكر له ، أنّه استعاد فتح إرْمِيْنِيَة ، وأعاد إليها سلطة الدولة الإسلامية ، ونشر العربيّة لغة والإسلام ديناً في ربوعها .

ويذكر له ، أنّه استنقذ عشرات الألوف من أسرى المسلمين الذين كانوا تحت سيطرة الصُّغد في خُراسان والخَزَر في إرمينية ، وقلب الموازين في تلك الأرجاء الشّاسعة لصالح المسلمين .

ويذكر له ، أنّه كان قائداً وإداريّاً (مُبْتَدِعاً) يعمل ما تمليه عليه المصلحة العامة ، وليس قائداً وإدارياً (مُتَّبِعا) ينفّذ أوامر السُّلطة حتى ولو ناقضت المصلحة العامة ، فكان بحق رجل دولة بكل معنى الكلمة لا إمَّعَةً يميل مع الأهواء .

ويذكر له ، أنّه أحرز انتصارات باهرة داخلياً وخارجيا ، فعُوقب عن انتصاراته بالحبس والتعذيب والتنكيل ، لأنّه كان يعمل ما (يجبُ) أن يُعْمل لاما (يُحبّ) رؤساؤه أن يعمل .

ويذكر له أنّه كان في الحرب يقود الجيوش في أخطر ميادينها ويكون مقرّه في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

خطوطها الأماميّة ، فإذا حلّ السّلام استثمر غيره نتائج انتصاراته ، فيكون مقرّه في السجون متحملاً العذاب الأليم .

ويُذكر له ، أنّه كان فارس العرب دون منازع ، يستأثر بالأخطار ويستأثر غيرُه بالغنائم .

ويذكر له ، أنّه كان رجل السّاعة في الملمّات ، ورجل السُّجون في النزهات .

ويذكر له ، أنّه كان يؤثر أن يكون غازياً في العَراء ، على أن يكون والياً .

ويذكر له ، أنّه كان يقود رجاله من الأمام لا من الخلف ، وكان أسوة حسنة في التضحية والإقدام .

ويذكر له ، أنّه قائدٌ توفّرت فيه الشروط الكاملة للقائد المتميِّز : الطبع السليم والعلم المكتسب ، والتجربة العمليّة .

إنه القائد الفاتح ، فارس العرب ، سعيد بن عمرو الحَرَشيّ .

اللواء محمود شيت خطاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net